

علم بلا أدب كنار بلا حطب وأدب بلا علم كروح بلا جسم

أهمية الأدب :

الأدب ومعناه العام :

- ذكر الشيخ محمد عوامة في كتابه أدب الاختلاف تعريف الأدب ومعناه ، وفي "المصباح المنير" : ((قال أبو زيد الأنصاري : الأدب : يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل . وقال الأزهري نحوه، فالأدب اسم لذلك)) .
- ((وأهل اللغة يقولون : الأدب : الظرف وحسن تناول في الأمور كلها ، وقال بعض العلماء : الأدب كلمة تجمع خصال الخير كلها ...)) .
- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((الأدب : استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم بأنه الأخذ بالماكارم الأخلاق، وقيل : الوقوف على المستحسنات، وقيل : بل هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل : إنه مأخوذ من المأدبة، وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه)).
- وأسند الخطيب إلى الإمام مالك أن محمد بن سيرين التابعي العلم الإمام رضي الله عنهما قال حاكياً حال كبار التابعين :
- ((كانوا يتعلمون الهدى، كما يتعلمون العلم)) . قال مالك - مؤكداً ذلك من فعل ابن سيرين - : ((وبعث ابن سيرين رجلاً ينظر كيف هدى القاسم بن محمد وحاله)) .
- وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ((كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكّر عقل أي على الثقافي يقول : ذاك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين . وذلك : أن أبا علي أقام بسمرقند مدة أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي، وأخذها ابن نصر عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك، وأقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقيل له في ذلك ؟
- فقال : إنما أقمت مستفيداً لشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين)) .

- وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد - وهو وأبوه من الثقات الأثبات - : قال لي أبي : ((يا بني أنت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديتهم، فإن ذاك أحب إلى لك من كثير من الحديث)).
- وروى أبو نعيم في ترجمة الإمام مالك أنه قال لفتى من قريش : ((يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم)).
- وهذا أمر نشئ عليه الغمام مالك من أول يوم دخل فيه على العلم. فقد حكي صنيع أمه معه فقال : ((كانت أُمِّي تَعْمَنِي وتقول لي : اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)).
- ولا بد من كليهما معاً: العلم والأدب، فهما كما قال أبو زكريا العنبري أحد الأجلاء : ((علم بلا أدب كمنار بلا حطب وأدب بلا علم كروح بلا جسم)) أخرجه الخطيب في جامعه أيضاً.

أدب التلقي

((غلاء العلم عندهم أعلى من مقام أنفسهم عند الناس))

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده في كتابه (العلماء العزاب) :
قال العلامة ياقوت الحموي رحمه الله تعالى : في (معجم الأدباء) ٦ : ١٤٨ ، في ترجمة صديقه وصاحبه : (عزيز الدين أبي طالب : إسماعيل بن الحسين) المروزي النسابة العلوي الحسيني ، المولود سنة ٥٧٢ ، والمتوفي بعد سنة ٦١٤ رحمه الله تعالى ، ما يلي :
((حدثني عزيز الدين رحمه الله : قال : ورد الفخر الرازي إلى مرو ، وكان من جلالته القدر ، وعظم الذكر ، وضخامة الهيبة ، بحيث لا يراجع في كلامه ، ولا يتنفس أحد بين يدي لإعظامه ، على ما هو مشهور متعارف ، فدخلت إليه ، وترددت بالقراءة عليه .
فقال لي يوماً - وكان عزيز الدين هذا آنذاك في حدود الثلاثين من العمر - :
((أحب أن تصنف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبين لأنظر فيه ، فلا أحب أن أكون جاهلاً به ، فقلت له : أتريد مشجراً أم منثوراً ؟

فقال : المشجر لا ينضب بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه ، فقلت : السمع والطاعة، وصنفت له الكتاب الذي سمّيته بالفخري وحملته وجئته به.

فلما وقف عليه، نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير، وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحة، فأعظمت ذلك - أي استعظمت ذلك واستكبرته علي!- وخدمته- أي دعوت له وقلت له : أنا خادمك لا يليق بي هذا- ، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال : اجلس بحيث أقول لك، فتداخني - عَلِمَ اللهُ - من هيئته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني.

ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءةً، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علمٌ أنت أستاذي فيه، وأنا استفيد منك، وأتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ.

فقمتم من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولاً.

وهذا ولعمري من حسن الأدب حسنٌ، ولا سيّما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة)).

وجاء في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ٧-١٩٦ في ترجمة الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (أحمد بن علي بن ثابت) المولود ببغداد سنة ٣٩٢ ، والمتوفى بها سنة ٤٦٣ رحمه الله تعالى ما يلي :

((حضر أبو بكر الخطيب درس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، فروى الشيخ حديثاً من رواية بحر بن كُنَيْزٍ - بالنون والزاي- السَّقَاء، ثم قال للخطيب ما تقول فيه ؟

فقال الخطيب : إن أذنت لي ذكرت حاله، فأبعد الشيخ أبو إسحاق ظهره من الحائط، وقعد مثلما يقعد التلميذ بين يدي الأستاذ، يسمع كلام الخطيب، وشرع الخطيب في شرح أحواله، ويقول : قال فيه فلان كذا، وقال فيه فلان كذا، وشرح أحواله شرحاً حسناً وما ذكر فيه من الأئمة من الجرح والتعديل، إلى ان فرغ منه، فأثنى الشيخ أبو إسحاق عليه ثناءً حسناً، وقال : هو دارقطني عهدنا)). انتهى .

أدب المناظرة :

كانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة

رسالة المسترشدين:

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده رحمه الله تعالى :

ومما رأيته مكتوباً على وجه كتاب مخطوط، كتاب ((الانتصار في المسائل الكبار)) لمخفوظ بن أحمد الكلوزاني إمام السادة الحنابلة في عصره، بقلم بعض العلماء - وما يكتبون على وجوه الكتب إلا الفوائد الغوالي، والدرر واللالآي، يسرعون بكتابتها على وجه الكتاب لئلا تشرذ منهم، وليروها كلما نظروا الكتاب فيحفظوها- :

((من أدب الجدل: جاء رجل إلى بعض الأئمة الحكماء، فقال: أريد أن أناظرك، فقال : بعد أن تشتط على نفسك عشر خصال:

أحدها: لا تغضب.

والثانية: لا تتعب.

والثالثة: لا تعجب.

والرابعة: لا تتحكم.

والخامسة: لا تضحك.

والسادسة: لا تجعل الدعوى دليلك.

والسابعة: إذا أخذنا في الأخبار كان غرضنا التصديق.

والثامنة: إذا أخذنا بما في العقول انقَدنا للتعرف.

والتاسعة: أن يجعل كل واحد منا الحق ضالته. لا الغلبة غايته.

والعاشرة: أن لا تقبل على غيري وأنا أكلمك، والسلام)) . انتهى

وقال الشيخ محمد عوامة في أدب الاختلاف:

أعجبتني أبياتٌ من الشعر الجزل الرصين، تصور هذا الأدب الخلقى الرفيع، بألفاظ أدبية رائقة، مليئة بالتشبيهات البديعة ، رأيته في ديوان الأستاذ (أمير الشعر) على الجارم رحمه الله (١٢٩٩-١٣٦٨) يصف فيها حواراً علمياً بين عالِمَيْن كبيرين حول تصحيح كلمة، هما الشيخ أحمد الإسكندري، والشيخ حسين والي رحمهما الله تعالى،

فقال :

ويوماً مع الإسكندري رأيته

ويوماً مع الإسكندري رأيته

يجاذبه فَضْلُ الْحَدِيثِ الْمَشْتَقِّ

فهذا يرى في لفظه غيرَ ما يرى

أخوه ، ويختار الدليلَ وينتقي

فقلت: أرى ليثاً وليثاً تجمعا

وأشدرق ملء العين يمشي لأشدرق

وأعجبني رأيي سليمٌ ومنطقٌ

يصول على رأي سليمٍ ومنطق

وقد لَوَّحتُ أيديهما فكأثما

إشاراتُ رايات تروح وتلتقي

ولم أر في لفظيهما نَبْرَ عائب

ولم أر في عينيهما لَمْحَ محنق

فقلت هي الفصحى بخير وإثما

بأمثال هذين الحَفِيَّينِ ترتقي

أدب الاختلاف

وذكر الشيخ محمد عوامة في كتابه (أدب الإختلاف) :

ومن الأمثلة الرائعة أيضاً: ما أسنده ابن عبد البر إلى العباس بن عبد العظيم العنبري المتوفي سنة ٢٤٠، أحد الثقات الحفاظ الكبار، وممن روى عن الإمام أحمد وشاركه في الرواية عن بعض شيوخه، قال: ((كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة، فتناظرا في الشهادة، وارتفعت أصواتهما حتى خُفَّتْ أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة، وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد عليّ الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه!!)).

ومن روائع الإمام الشافعي - وكله روائع وإمامة - ما حكاه الذهبي في ترجمة تلميذه يونس بن عبد الأعلى الصدي - بل هو من خاصة تلامذته - قال: ((ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة!)).

الصبر في تلقي العلم

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده رحمه الله في كتابه (صفحات من صبر العلماء):

هذه نماذج يسيرة من أخبار العلماء، الذين قرأ الواحد منهم الكتاب عشرات المرات أو مئة مرة أو أكثر، لعلها تُحَفِّزُ الطالب المُجِدِّ على الصبر على إعادة القراءة للكتاب بعض المرات:

(١) ففي (طبقات علماء إفريقية وتونس)، لأبي العرب القيرواني ص ٢٢٤، في ترجمة المحدث الكبير الرّحال (عباس بن الوليد الفارسي)، تلميذ سفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض: ((قال أبو العرب : ولقد حدثني أبي أحمد بن تميم رحمه الله، إنهم ربما وجدوا في آخر بعض كتب عباس بن الفارسي : درسته ألف مرة، وكان قد قتل سنة ٢١٨ رحمه الله تعالى)).

(٢) في ((شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)) لابن مخلوف ص ٩٥، في ترجمة (أبي محمد عبد الله بن إسحاق) المعروف بابن التبان، إمام الفقهاء الراسخين، المولود سنة ٣١١،

والمتوفي سنة ٣٧١ رحمه الله تعالى: ((أخذ عن ابن اللبّاد وغيره، درس ((المدونة)) نحو الألف مرة)).

(٣) في ((ترتيب المدارك) للقاضي عياض ٦: ١٨٦ ، في ترجمة الإمام الفقيه المالكي المحدث أبي بكر الأبهري (محمد بن عبد الله بن صالح) التميمي البغدادي، المولود قبل سنة ٢٩٠ ، والمتوفي سنة ٣٧٥ رحمه الله تعالى قوله : ((قرأت مختصر ابن عبد الحكم خمس مئة مرة ، والأسديّة خمساً وسبعين مرة ، والموطأ خمساً وأربعين مرة ، ومختصر البرقي سبعين مرة ، والمبسوط ثلاثين مرة)) رحمه الله تعالى .

(٤) في مقدمة الإمام النووي لشرحه على ((صحيح مسلم)) ١: ٨ ، في ترجمة (أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري) المعمّر ، المولود سنة ٣٥٣ ، والمتوفي سنة ٤٤٨ رحمه الله تعالى : ((كان شيخاً ثقة صالحاً مشهوراً مقصوداً من الآفاق، سمع منه الأئمة والصدور، وألحق أحفاد الأجداد، وقرأ الحافظ الحسن السمرقندي عليه ((صحيح مسلم)) نيفاً وثلاثين مرة، وقرأ عليه أبو سعيد البُحَيْري نيفاً وعشرة مرة)).

(٥) في ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي ٧: ٢٣٣ ، في ترجمة الإمام إلكيا الهراسي - أبي الكبير الخائف - (علي بن محمد بن علي) النيسابوري ثم البغدادي، المولود سنة ٤٥٠ ، والمتوفي سنة ٥٠٤ رحمه الله تعالى، تلميذ إمام الحرمين ومُعِيدِ دَرْسِهِ، وأجلّ تلاميذه بعد رفيقه الغزالي : ((عن إلكيا قال : كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة، في الصعود والنزول، قال : وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته)).

(٦) في ((ذبول تذكرة الحفاظ)) ص ١٣٤-١٣٥ بتعليق شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى ما ملخصه : ((مُسند الدنيا ورُحلة الآفاق أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي طالب، المشهور بابن الشحنة الحجارَ الدمشقي الصالحي الحنفي، ولد في حدود سنة ٦٢٢، وعُمِّرَ أكثر من مئة سنة، حتى ألحق الأجداد بالأجداد، وحدث بالصحيح أكثر

من سبعين مرة بدمشق وغيرها. وانتخب عليه الحفاظ ورحلوا إليه من البلاد وتزاحموا عليه، وقد صام رمضان وهو ابن مئة سنة وأتبعه ستة من شوال، شرع محب الدين بن المحب في قراءة الصحيح عليه قبل موته بيوم، ثم قرأ عليه الميعاد الثاني في يوم وفاته إلى الضحى، فمات قبيل الظهر سنة ٧٣٠ رحمه الله تعالى)).

(٧) في ((فهرس الفهارس والإثبات)) لشيخنا الحافظ عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى ٢: ١٠٤٥، في ترجمة ابن السنوسي (محمد بن علي السنوسي) : وفي ((الحِطَّة)) نقلاً عن السيد جمال الدين المحدّث، عن أستاذه السيد أصيل الدين أنه قال: قرأت صحيح البخاري نحو مئة وعشرين مرة.

(٨) وفي ترجمة الحافظ برهان الدين الحلبي من ((الضوء اللامع)) للسخاوي ١: ١٤١ أنه قرأ البخاري أكثر من ستين مرة، ومسلماً نحو العشرين، سوى قراءته لهما في الطلب أو قراءتهما من غيره عليه.

(٩) وقال الحافظ السخاوي: حكي الحافظ الذهبي، عن الحافظ شرف الدين أبي الحسن اليونيني أنه سمعه يقول : إنه قابل نسخته من صحيح البخاري، وأسمعه في سنة: إحدى عشرة مرة.

(١٠) وفي ((طبقات الخواص)) للشهاب أحمد الشَّرْجِي اليميني، في ترجمة سليمان بن إبراهيم العلوي: أنه أتى على البخاري نحواً من مئتين وثمانين مرة، قراءةً وسماعاً وإقراءً.

(١١) ووجدت في ((ثبت الشهاب أحمد بن قاسم البوني)): رأيت خط الفيروزآبادي، في آخر جزء من صحيح الإمام البخاري، قال : أنه قرأ صحيح البخاري أزيد من خمسين مرة)). انتهى كلام شيخنا الكتاني.

١٢) وفي كتاب الصلة لابن بشكوال الأندلسي ص ٤٣٣ في ترجمة المحدث أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي المولود سنة ٤٤١ ، والتوفي سنة ٥١٨ ، وهو والد المفسر المشهور عبد الحق بن عطية " كان حافظاً للحديث وطرقه وعلمه ، عارفاً بأسماء رجاله ونقلته ، منسوباً إلى فهمه ، ذاكراً لمتونه ومعانيه ، أديباً شاعراً لغوياً ، ديتاً فاضلاً ، قرأت بخط بعض أصحابنا أنه سمع أبا بكر بن عطية يذكر أنه كرّر البخاري سبع مئة مرة "

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكناي :

ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نَفَع

أدب العالم والمعلم في نفسه
فينبغي عليه دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، قال الشافعي رحمه الله تعالى : ((ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نفع ، كما ينبغي عليه السكينة والوقار والخشوع)) .
قال عمر رضي الله عنه : ((تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار))
كما ينبغي عليه أن يصون العلم كما صانه علماء السلف رضوان الله عليهم .
و أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام ونوافل الطاعات كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات ، وإفشاء السلام للخواص والعوام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى ، ومداومة الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .
وأن يعامل الناس بمكارم ومحاسن الأخلاق ، وأن يتطهر لمجلس الدرس من الحدث والنجس ، وإن كان معلماً أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له متمكناً فيه
قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((المتشيع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور - أخرج أبو داود -))

وأن يقصد بتعليم طلبته وده الله تعالى. وأن يرغبهم في طلب العلم وأن يبذل جهده في توصيله إليهم، وأن يوجههم إلى محاسن الأخلاق في آدابهم وهديتهم وأخلاقهم، وأن يتواضع لهم.

وإن كان متعلماً:

ينبغي عليه أن يحسن نيته في طلب العلم بأن يقصد وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه به والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفيان الثوري:

((ما عاجلت شيئاً أشد على من نيتي)).

وأن يبادر شبابه وأوقات عمره، وأن ينظر إلى شيخه بعين الإجلال وأن يعرف له حقه ولا ينسى فضله قاله شعبة:

كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا. وأن يصبر على أي جفوة تصدُر من شيخه وأن يسلك معه حسن الخلق والأدب، كما ينبغي عليه أن يتحلى بمحاسن الآداب مع زملائه في الدرس وعموم الناس.

أما الآداب المتطلبية مع الكتاب:

ويراعى الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفها وجلالتهم فيضع الأشراف أعلى الكل ثم يراعى التدريج فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، ثم كتب الحديث الصرف كصحيح مسلم ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الفقه ثم النحو والتصريف ثم أشعار العرب ثم العروض - فإن استوى كتابان في فن، أعلى أكثرهما قرآناً أو حديثاً فإن استويا فبجلالة المصنف، فإن استويا، فاقدتهما كتابة وأكثرهما وقوعاً في أيدي العلماء والصالحين فإن استويا فأصحهما.

إساءة الأدب بالكتب :

و لا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها ولا مخدة ولا مروحة ولا مكبساً ولا مسنداً ولا متكاً ولا مقتلة للبق وغيره ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد.

ولا يطوى حاشية الورقة أو زاويتها و لا يُعلم بعود أو شيء جاف بل بورقة أو نحوها.

ونختم بما ختم به الشيخ محمد عوامه كتابه (أدب الإختلاف) قائلاً :

وأختم الكتابة بدعاء كان يدعو به سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عقب صلاة الفجر:
(اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً))

وبدعوة كريمة، هي من مشكاة النبوة، كان يختم بها الإمام ابن شهاب الزهري مجلسه: ((اللهم إن أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة)).

علم بلا أدب كنار بلا حطب وأدب بلا علم كروح بلا جسم

أهمية الأدب :

الأدب ومعناه العام :

- ذكر الشيخ محمد عوامة في كتابه أدب الاختلاف تعريف الأدب ومعناه ، وفي "المصباح المنير" : ((قال أبو زيد الأنصاري : الأدب : يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل . وقال الأزهري نحوه، فالأدب اسم لذلك)) .
- ((وأهل اللغة يقولون : الأدب : الظرف وحسن التناول في الأمور كلها ، وقال بعض العلماء : الأدب كلمة تجمع خصال الخير كلها ...)) .
- قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : ((الأدب : استعمال ما يُحمد قولاً وفعلاً، وعبر بعضهم بأنه الأخذ بالمكارم الأخلاق، وقيل : الوقوف على المستحسنات، وقيل : بل هو تعظيم من فوقك، والرفق بمن دونك، وقيل : إنه مأخوذ من المأدبة، وهي الدعوة إلى الطعام، سمي بذلك لأنه يدعى إليه)).
- وأسند الخطيب إلى الإمام مالك أن محمد بن سيرين التابعي العلم الإمام رضي الله عنهما قال حاكياً حال كبار التابعين :
- ((كانوا يتعلمون الهدى، كما يتعلمون العلم)) . قال مالك - مؤكداً ذلك من فعل ابن سيرين - : ((وبعث ابن سيرين رجلاً ينظر كيف هدي القاسم بن محمد وحاله)) .
- وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى : ((كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكّر عقل أبي على الثقفي يقول : ذاك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين . وذلك : أن أبا على أقام بسمرقند مدة أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محمد بن نصر المروزي، وأخذها ابن نصر عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه، وأخذها يحيى عن مالك، وأقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه، فقليل له في ذلك ؟
- فقال : إنما أقمت مستفيداً لشمائله، فإنها شمائل الصحابة والتابعين)) .

- وقال إبراهيم بن حبيب بن الشهيد - وهو وأبوه من الثقات الأثبات - : قال لي أبي : ((يا بني انت الفقهاء والعلماء وتعلم منهم، وخذ من أدبهم وأخلاقهم وهديتهم، فإن ذاك أحب إلي لك من كثير من الحديث)).
- وروى أبو نعيم في ترجمة الإمام مالك أنه قال لفتى من قريش : ((يا ابن أخي تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم)).
- وهذا أمر نشئ عليه الغمام مالك من أول يوم دخل فيه على العلم. فقد حكي صنيع أمه معه فقال : ((كانت أُمِّي تعممني وتقول لي : اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه)).
- ولا بد من كليهما معاً: العلم والأدب، فهما كما قال أبو زكريا العنبري أحد الأجلاء : ((علم بلا أدب كنار بلا حطب وأدب بلا علم كروح بلا جسم)) أخرجه الخطيب في جامعه أيضاً.

أدب التلقي

((غلاء العلم عندهم أغلى من مقام أنفسهم عند الناس))

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده في كتابه (العلماء العزاب) :
قال العلامة ياقوت الحموي رحمه الله تعالى : في (معجم الأدباء) ٦ : ١٤٨ ، في ترجمة صديقه وصاحبه :
(عزيز الدين أبي طالب : إسماعيل بن الحسين) المروزي النسابة العلوي الحسيني، المولود سنة ٥٧٢ ، والمتوفي بعد سنة ٦١٤ رحمه الله تعالى ، ما يلي :
((حدثني عزيز الدين رحمه الله : قال : ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالته القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يدي لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت بالقراءة عليه.
فقال لي يوماً- وكان عزيز الدين هذا آنذاك في حدود الثلاثين من العمر - :
((أحب أن تصنف لي كتاباً لطيفاً في أنساب الطالبين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلاً به، فقلت له : أتريد مشجراً أم منثوراً ؟

فقال : المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئاً أحفظه ، فقلت : السمع والطاعة، وصنفت له الكتاب الذي سمّيته بالفخري وحملته وجئته به.

فلما وقف عليه، نزل عن طرّاحته وجلس على الحصير، وقال لي : اجلس على هذه الطرّاحة، فأعظمت ذلك - أي استعظمت ذلك واستكبرته علي! - وخدمته - أي دعوت له وقلت له : أنا خادمك لا يليق بي هذا- ، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال : اجلس بحيث أقول لك، فتداخلي - عَلِمَ اللهُ - من هيئته ما لم أتمالك إلا أن جلست حيث أمرني.

ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءةً، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علمٌ أنت أستاذي فيه، وأنا استفيد منك، وأتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ.

فقمتم من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولاً.

وهذا ولعمري من حسن الأدب حسنٌ، ولا سيّما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة)).

وجاء في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي ٧-١٩٦ في ترجمة الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (

أحمد بن علي بن ثابت) المولود ببغداد سنة ٣٩٢ ، والمتوفى بها سنة ٤٦٣ رحمه الله تعالى ما يلي :

((حضر أبو بكر الخطيب درس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، فروى الشيخ حديثاً من رواية بحر بن كُنَيْزٍ - بالنون والزاي- السَّقَاء، ثم قال للخطيب ما تقول فيه ؟

فقال الخطيب : إن أذنت لي ذكرت حاله، فأبعد الشيخ أبو إسحاق ظهره من الحائط، وقعد مثلما يقعد التلميذ بين يدي الأستاذ، يسمع كلام الخطيب، وشرع الخطيب في شرح أحواله، ويقول : قال فيه فلان كذا، وقال فيه فلان كذا، وشرح أحواله شرحاً حسناً وما ذكر فيه من الأئمة من الجرح والتعديل، إلى ان فرغ منه، فأثنى الشيخ أبو إسحاق عليه ثناءً حسناً، وقال : هو دارقطني عهدنا)).

انتهى

أدب المناظرة :

كانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة

رسالة المسترشدين:

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده رحمه الله تعالى :

ومما رأيته مكتوباً على وجه كتاب مخطوط، كتاب ((الانتصار في المسائل الكبار)) لخفوض بن أحمد الكلوذاني إمام السادة الحنابلة في عصره، بقلم بعض العلماء - وما يكتبون على وجوه الكتب إلا الفوائد الغوالي، والدرر والالآلي، يسرعون بكتابتها على وجه الكتاب لئلا تشرذ منهم، وليروها كلما نظروا الكتاب فيحفظوها- :

((من أدب الجدل: جاء رجل إلى بعض الأئمة الحكماء، فقال: أريد أن أناظرك، فقال : بعد أن تشتط على نفسك عشر خصال:

أحدها: لا تغضب.

والثانية: لا تتعب.

والثالثة: لا تعجب.

والرابعة: لا تتحكم.

والخامسة: لا تضحك.

والسادسة: لا تجعل الدعوى دليلك.

والسابعة: إذا أخذنا في الأخبار كان غرضنا التصديق.

والثامنة: إذا أخذنا بما في العقول انقَدنا للتعرف.

والتاسعة: أن يجعل كل واحد منا الحق ضالته. لا الغلبة غايته.

والعاشرة: أن لا تقبل على غيري وأنا أكلمك، والسلام)) . انتهى

وقال الشيخ محمد عوامة في أدب الاختلاف:

أعجبتني أبياتٌ من الشعر الجزل الرصين، تصور هذا الأدب الخلقى الرفيع، بألفاظ أدبية راقية، مليئة بالتشبيهات البديعة ، رأيته في ديوان الأستاذ (أمير الشعر) علي الجارم رحمه الله (١٢٩٩-١٣٦٨) يصف فيها حواراً علمياً بين عالمين كبيرين حول تصحيح كلمة، هما الشيخ أحمد الإسكندري، والشيخ حسين والي رحمهما الله تعالى،

فقال :

ويوماً مع الإسكندري رأيتُه

ويوماً مع الإسكندري رأيتُه

يجاذبه فَضْلُ الحديثِ المشقِّقِ

فهذا يرى في لفظه غيرَ ما يرى

أخوه ، ويختار الدليلَ وينتقي

فقلت : أرى ليثاً وليثاً تجمعا

وأشدرقَ ملءَ العينِ يمشي لأشدرق

وأعجبني رأيُ سليمٍ ومنطقُ

يصول على رأيِ سليمٍ ومنطق

وقد لَوَّحتُ أيديهما فكأثما

إشاراتُ راياتِ تروح وتلتقي

ولم أر في لفظيهما نبرَ عائب

ولم أر في عينيهما لَمَحَ محنق

فقلت هي الفصحى بخير وإثما

بأمثال هذين الحَفِيِّينَ ترتقي

أدب الاختلاف

وذكر الشيخ محمد عوامة في كتابه (أدب الإختلاف) :

ومن الأمثلة الرائعة أيضاً: ما أسنده ابن عبد البر إلى العباس بن عبد العظيم العنبري المتوفي سنة ٢٤٠، أحد الثقات الحفاظ الكبار، وممن روى عن الإمام أحمد وشاركه في الرواية عن بعض شيوخه، قال : ((كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة، فتناظرا في الشهادة، وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء، وكان أحمد يرى الشهادة، وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد عليّ الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه!!)).

ومن روائع الإمام الشافعي - وكله روائع وإمامة - ما حكاها الذهبي في ترجمة تلميذه يونس بن عبد الأعلى الصدي - بل هو من خاصة تلامذته - قال : ((ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة!.

الصبر في تلقي العلم

ذكر الشيخ عبد الفتاح أبو غده رحمه الله في كتابه (صفحات من صبر العلماء):

هذه نماذج يسيرة من أخبار العلماء، الذين قرأ الواحد منهم الكتاب عشرات المرات أو مئة مرة أو أكثر، لعلها تُحفِّز الطالب المُجدِّ على الصبر على إعادة القراءة للكتاب بعض المرات:

(١) ففي (طبقات علماء إفريقية وتونس)، لأبي العرب القيرواني ص ٢٢٤، في ترجمة المحدث الكبير الرِّحال (عباس بن الوليد الفارسي) ، تلميذ سفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض: ((قال أبو العرب : ولقد حدثني أبي أحمد بن تميم رحمه الله، إنهم ربما وجدوا في آخر بعض كتب عباس بن الفارسي : درسته ألف مرة، وكان قد قتل سنة ٢١٨ رحمه الله تعالى)).

(٢) في ((شجرة النور الزكية في طبقات المالكية)) لابن مخلوف ص ٩٥ ، في ترجمة (أبي محمد عبد الله بن إسحاق) المعروف بابن التبان ، إمام الفقهاء الراسخين ، المولود سنة ٣١١ ، والمتوفي سنة ٣٧١ رحمه الله تعالى : ((أخذ عن ابن اللباد وغيره ، درس ((المدونة)) نحو الألف مرة)) .

(٣) في ((ترتيب المدارك) للقاضي عياض ٦ : ١٨٦ ، في ترجمة الإمام الفقيه المالكي المحدث أبي بكر الأبهري (محمد بن عبد الله بن صالح) التميمي البغدادي ، المولود قبل سنة ٢٩٠ ، والمتوفي سنة ٣٧٥ رحمه الله تعالى قوله : ((قرأت مختصر ابن عبد الحكم خمس مئة مرة ، والأسديّة خمساً وسبعين مرة ، والموطأ خمساً وأربعين مرة ، ومختصر البرقي سبعين مرة ، والمبسوط ثلاثين مرة)) رحمه الله تعالى .

(٤) في مقدمة الإمام النووي لشرحه على ((صحيح مسلم)) ١ : ٨ ، في ترجمة (أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري) المعمر ، المولود سنة ٣٥٣ ، والمتوفي سنة ٤٤٨ رحمه الله تعالى : ((كان شيخاً ثقة صالحاً مشهوراً مقصوداً من الآفاق ، سمع منه الأئمة والصدور ، وألحق أحفاد الأجداد ، وقرأ الحافظ الحسن السمرقندي عليه)) صحيح مسلم)) نيفاً وثلاثين مرة ، وقرأ عليه أبو سعيد البُحَيْرِي نيفاً وعشرة مرة)) .

(٥) في ((طبقات الشافعية الكبرى)) للسبكي ٧ : ٢٣٣ ، في ترجمة الإمام إلكيا الهراسي - أبي الكبير الخائف - (علي بن محمد بن علي) النيسابوري ثم البغدادي ، المولود سنة ٤٥٠ ، والمتوفي سنة ٥٠٤ رحمه الله تعالى ، تلميذ إمام الحرمين ومُعِيدِ دَرْسِهِ ، وأجلّ تلاميذه بعد رفيقه الغزالي : ((عن إلكيا قال : كانت في مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة ، وكنت إذا حفظت الدرس أنزل القناة وأعيد الدرس في كل درجة مرة ، في الصعود والنزول ، قال : وكذا كنت أفعل في كل درس حفظته)) .

(٦) في ((ذبول تذكرة الحفاظ)) ص ١٣٤-١٣٥ بتعليق شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى ، ما ملخصه : ((مُسند الدنيا ورحلة الآفاق أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي طالب ،

المشهور بابن الشحنة الحجار الدمشقي الصالح الحنفي، ولد في حدود سنة ٦٢٢، وعُمِرَ أكثر من مئة سنة، حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وحدث بالصحيح أكثر من سبعين مرة بدمشق وغيرها. وانتخب عليه الحفاظ ورحلوا إليه من البلاد وتزاحموا عليه، وقد صام رمضان وهو ابن مئة سنة وأتبعه ستة من شوال، شرع محب الدين بن المحب في قراءة الصحيح عليه قبل موته بيوم، ثم قرأ عليه الميعاد الثاني في يوم وفاته إلى الضحى، فمات قبيل الظهر سنة ٧٣٠ رحمه الله تعالى)).

(٧) في ((فهرس الفهارس والإثبات)) لشيخنا الحافظ عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى ١٠٤٥:٢ ، في ترجمة ابن السنوسي (محمد بن علي السنوسي) : وفي ((الحِطَّة)) نقلاً عن السيد جمال الدين المحدّث، عن أستاذه السيد أصيل الدين أنه قال: قرأت صحيح البخاري نحو مئة وعشرين مرة.

(٨) وفي ترجمة الحافظ برهان الدين الحلبي من ((الضوء اللامع)) للسخاوي ١: ١٤١ أنه قرأ البخاري أكثر من ستين مرة، ومسلماً نحو العشرين، سوى قراءته لهما في الطلب أو قراءتهما من غيره عليه.

(٩) وقال الحافظ السخاوي: حكى الحافظ الذهبي، عن الحافظ شرف الدين أبي الحسن اليونيني أنه سمعه يقول : إنه قابل نسخته من صحيح البخاري، وأسمعه في سنة: إحدى عشرة مرة.

(١٠) وفي ((طبقات الخواص)) للشهاب أحمد الشَّرْجِي اليميني، في ترجمة سليمان بن إبراهيم العلوي: أنه أتى على البخاري نحواً من مئتين وثمانين مرة، قراءةً وسماعاً وإقراءً.

(١١) ووجدت في ((ثبت الشهاب أحمد بن قاسم البوني)): رأيت خط الفيروزآبادي، في آخر جزء من صحيح الإمام البخاري، قال : أنه قرأ صحيح البخاري أزيد من خمسين مرة ((انتهى كلام شيخنا الكتاني.

(١٢) وفي كتاب الصلة لابن بشكوال الأندلسي ص ٤٣٣ في ترجمة المحدث أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الأندلسي المولود سنة ٤٤١ ، والتوفي سنة ٥١٨ ، وهو والد المفسر المشهور عبد الحق بن عطية " كان حافظاً للحديث وطرقه وعلله، عارفاً بأسماء رجاله ونقلته، منسوباً إلى فهمه، ذاكراً لمتونه ومعانيه، أديباً شاعراً لغوياً، دنيئاً فاضلاً، قرأتُ بخطِّ بعض أصحابنا أنه سمع أبا بكر بن عطية يذكر أنه كرّر البخاري سبع مئة مرة "

تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكنايني :

ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نَفَع

أدب العالم والمعلم في نفسه

فينبغي عليه دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، قال الشافعي رحمه الله تعالى : ((ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نفع، كما ينبغي عليه السكينة والوقار والخشوع)).
قال عمر رضي الله عنه : ((تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار))
كما ينبغي عليه أن يصون العلم كما صانه علماء السلف رضوان الله عليهم.
و أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام ونوافل الطاعات كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى، ومداومة الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
وأن يعامل الناس بمكارم ومحاسن الأخلاق، وأن يتطهر مجلس الدرس من الحدث والنجس، وإن كان معلماً أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له متمكناً فيه
قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((المتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور - أخرجه أبو داود -))

وأن يقصد بتعليم طلبته وده الله تعالى. وأن يرغبهم في طلب العلم وأن يبذل جهده في توصيله إليهم، وأن يوجههم إلى محاسن الأخلاق في آدابهم وهديتهم وأخلاقهم، وأن يتواضع لهم.

وإن كان متعلماً:

ينبغي عليه أن يحسن نيته في طلب العلم بأن يقصد وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة وتنوير قلبه به والقرب من الله تعالى يوم القيامة والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفيان الثوري:

((ما عاجلت شيئاً أشد على من نبيي)).

وأن يبادر شبابه وأوقات عمره، وأن ينظر إلى شيخه بعين الإجلال وأن يعرف له حقه ولا ينسى فضله قاله شعبة:

كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا. وأن يصبر على أي جفوة تصدُر من شيخه وأن يسلك معه حسن الخلق والأدب، كما ينبغي عليه أن يتحلى بمحاسن الآداب مع زملائه في الدرس وعموم الناس.

أما الآداب المتطلبة مع الكتاب:

ويراعى الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفها وجلالتهم فيضع الأشراف أعلى الكل ثم يراعى التدريج فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل، ثم كتب الحديث الصرف كصحيح مسلم ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الفقه ثم النحو والتصريف ثم أشعار العرب ثم العروض - فإن استوى كتابان في فن، أعلى أكثرهما قرآناً أو حديثاً فإن استويا فبجلالة المصنف، فإن استويا، فاقدماههما كتابة وأكثرهما وقوعاً في أيدي العلماء والصالحين فإن استويا فأصحهما.

إساءة الأدب بالكتب :

و لا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها ولا مخدة ولا مروحة ولا مكبساً ولا مسنداً ولا متكأً ولا مقتلة للبق وغيره ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد.
ولا يطوى حاشية الورقة أو زاويتها و لا يُعلم بعود أو شيء جاف بل بورقة أو نحوها.

ونختم بما ختم به الشيخ محمد عوامة كتابه (أدب الإختلاف) قائلاً :

وأختم الكتابة بدعاء كان يدعو به سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عقب صلاة الفجر: ((
اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً))
وبدعوة كريمة، هي من مشكاة النبوة، كان يختتم بها الإمام ابن شهاب الزهري مجلسه: ((اللهم إن
أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، وأعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في
الدنيا والآخرة)).